الفصل الثاني

تعريف السحر

المبحث الأول

تعريف السحر لغة

يطلق السحر في لغة العرب على كلِّ شيء خفي سببه ولطف ودقَّ، ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر، وتصف ملاحة العينين بالسحر، لأنها تصيب القلوب بسهامها في خفاء، كما يوصف البيان بالسحر، ومنه قول الرسول ﷺ: (إنَّ من البيان لسحرا[1])، وإنما كان بعض البيان سحرا لأنه «يروق للسامعين، ويستميل قلوبهم، ويغلب على نفوسهم، ويحوِّل الشيء عن حقيقته، ويصرفه عن وجهته» وسُمِّي السحور سحورا لأنه يقع

---

(١) حديث «إن من البيان لسحرا» رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب: إن من البيان لسحرا، فتح الباري (١٠/٢٣٧) قال: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحرا».
وقد قال بعض العلماء: هذا خرج مخرج الذم، فالرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بحجته من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه، فيذهب بالحق، وذمّه هنا لأن فيه تصويب الباطل وتزيينه حتى يتوهم السامع أنه حق.
وحمل بعضهم الحديث على المدح والحث على تحسين الكلام وتحبير الألفاظ، وإنما يحمد صاحب البلاغة مالم يخرج إلى حد الاسهاب والاطناب، وتصوير الباطل في صورة الحق. (راجع فتح الباري: ١٠/٢٣٧، وتفسير القرطبي: ٢/٥٤).

خفيا آخر الليل، والسَّحر: الرئة، وهي محلُّ الغذاء، وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن، وتطلق العرب السحر على الخديعة، لأنه يخفى سببها ويدقُّ، ومنه قول لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير في هذا الأنام المسحَّرِ[1]

(١) راجع في المعنى اللغوي: لسان العرب: ١٠٦/٢. والقاموس المحيط: ص ٥١٩. وكتب اللغة.

المبحث الثاني

تعريف السحر في اصطلاح العلماء

لم يفرق الجصّاص في تعريف السحر بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فالسحر عنده «اسم لكلّ أمر خفي سببه وتخيل على غير حقيقته وجرى مجرى التمويه والخداع[1]».

وذهب هذا المذهب الفخر الرازي في تفسيره فقال: «اعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكلّ أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع[2]».

وهذان التعريفان غير مانعين، ولذلك أدخل هذان العالمان في السحر ما ليس منه، وسيأتي بيان هذا عند الكلام على أنواع السحر.

وعرف ابن عابدين السحر بأنه «علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفية[3]».

وعرّفه ابن خلدون تعريفا قريبا من التعريف السابق فقال: «السحر علوم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر، إمّا بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر والثاني الطلسمات[4]».

---

(١) احكام القرآن للجصاص: ٤٢/١.

(٢) قصة السحر: ٢٥.

(٣) حاشية ابن عابدين: ٤٤/١.

(٤) المقدمة: ٩٢٣.

والفرق بين التعريفين الأولين والتعريفين الأخيرين أنَّ السحر عند الأولين يشمل كلَّ ما خفي سببه سواء كان هذا الذي خفي سببه حيلة علمية أو خاصية لبعض المخلوقات أو كان تخيلا وخداعا، أما التعريفان الأخيران فإنهما يجعلان السحر صفة لبعض النفوس تستطيع بما علمته من السحر التأثير في العالم المادي.

ونحن لا ننازع الجصَّاص والرازي في جواز إطلاق اسم السحر على كلِّ ما خفي سببه، ولكننا ننازعهما في أنَّ ذلك هو اصطلاح الشارع، وقد أقرَّ الجصَّاص بأن اسم السحر أطلق على البيان في حديث الرسول ﷺ «إن من البيان لسحرا» مجازا لا حقيقة[1].

وكان الأحرى به أن يجعل دخول النميمة وما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات المركبة على النسب الهندسية، والاستعانة بالأدوية للتوصل إلى المراد، وخفة اليد في السحر من باب التجوز، وليست من السحر الحقيقي الذي حكم الله بكفر فاعله.

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: «سحر الأدوية والتدخين ونحوه ليس بسحر، وإن سمي سحرا فعلى سبيل المجاز، كتسمية القول البليغ والنميمة سحرا، ولكنه حرام لمضرته، يعزر من يفعله تعزيرا بليغاً[2]».

وهناك أمر آخر له أثر بين في توجيه العلماء في تعريف السحر وجهة معينة وهو اعتقاد بعضهم أنَّ السحر لا حقيقة له، واعتقاد البعض الآخر بأنَّ له حقيقة.

(١) أحكام القرآن: ٤٣/١.
(٢) تيسير العزيز الحميد: ص ٣٢٥.

فأبوبكر الرازي الذي عَرَّفه بأنَّه اسم لكلّ أمر خفي سببه وتخيل على غير حقيقته وجرى مجرى الخداع والتمويه، إنما عرفه على هذا النحو لأنَّ السحر لا حقيقه له عنده.

ومن الذين ذهبوا هذا المذهب من المعاصرين الأستاذ سيد قطب، فقد قال في تعريفه: «إنَّ السحر خداع الحواس، وخداع الأعصاب، والإيحاء إلى النفوس والمشاعر، وهو لا يغيّر من طبيعة الأشياء، ولا ينشيء حقيقة جديدة لها، ولكنه يخيل للحواس والمشاعر بما يريده الساحر[1]».

أما الذين ذهبوا إلى أنَّ للسحر حقيقة فقد عرفه بمثل ما عرفه به ابن خلدون.

ومن الذين ذهبوا هذا المذهب ابن قدامة، فقد قال في تعريفه: «هو عقد ورقى يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له[2]»

وقال التهانوي في تعريفه: «هو الإتيان بخارق عند مزاولة قول أو فعل محرم في الشرع، أجرى الله سبحانه سنته بحصوله عنده ابتداءً[3]».

(١) في ظلال القرآن: ٤٠٠٧/٦.

(٢) المغني: ١٥٠/٨

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون: ١٥٢

المبحث الثالث
الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة

التدقيق في الفروق بين السحر والمعجزة والكرامة تظهر لنا حقيقة السحر، فكثير من الناس يختلط عليهم أمر السحر بأمر المعجزة والكرامة، والمعتزلة أنكروا حقيقة السحر لما لم يستطيعوا التفرقة بينه وبين المعجزة.

والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة من وجوه:

الأول: السحر علم مكتسب يحصل بالتعلم والصناعة، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾(1). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾(2). وقال موسى للسحرة: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(3).

وهو يتم بمعاناة أقوال وأفعال، والكرامة هبة ومنحة من الله لا تحتاج إلى شيء من المعاناة، والمعجزة كذلك وتعطى لأنبياء الله ورسله(4). يقول ابن خلدون: «المعجزة قوة إلهية تبعث في النفس ذلك التأثير، فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك، والساحر إنما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية، وبإمداد من الشياطين في بعض الأحيان»(5).

---

(1) سورة البقرة: ١٠٢.
(2) سورة طه: ٦٩.
(3) سورة يونس: ٨١.
(4) راجع فتح الباري: ١٠/٢٢٣.
(5) مقدمة ابن خلدون: ٩٣٢.

الثاني: أنَّ المعجزة والكرامة لا تظهر على فاسق، والسحر لا يظهر إلا من فاسق، «فالنبي الذي تظهر المعجزات على يديه أفضل الناس نشأة ومولدا ومزية وخُلُقًا وخَلْقا وصدقا، وأدبا وأمانة وإشفاقا ورفقا وبعدا عن الدناءآت والكذب والتمويه...، وأما الساحر فعلى العكس من ذلك كلّه لا تجده في موضع إلا ممقوتا حقيرا بين الناس وأصحابه وأتباعه كلٌّ مبطل»[1].

يقول ابن حجر: «ينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر، لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين»[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في السحرة والعرافين والكهان والمجتهدين في العلم والزهد والعبادة، ولكنهم لا يؤمنون بما جاءت به الرسل ولا يصدقونهم بما أخبروا، ولا يطيعونهم فيما أمروا: «هؤلاء جميعهم لابدَّ أن يكذبوا ولابدَّ أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة، ولهذا نزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[3].

وَذِكْرُ الرحمن هو الذكر الذي بعث الله به رسوله ﷺ مثل القرآن، فمن لم يؤمن بالقرآن ويصدِّق به ويعتقد وجوب أمره فقد أعرض عنه، فَيُقَيِّضُ له الشيطان فيقترن به، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد، وعبده مجتهدا في عبادته، ولم يكن متبعا لذكره الذي أنزله - وهو

---

(١) الفروق: ٤/١٧٠.
(٢) فتح الباري: ١٠/٢٢٣.
(٣) سورة الزخرف: ٣٦.

القرآن ـ كان من أولياء الشيطان، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء، فإنَّ الشيطان يحمله في الهواء»[1].

ويقول ابن خلدون في هذا المعنى: «الساحر لا يصدر منه الخير، ولا يستعمل في أسباب الخير، وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشرُّ، ولا يستعمل في أسباب الشر، وكأنها على طرفي النقيض في أصل فطرتها، والله يهدي من يشاء، وهو القوي العزيز، لا ربَّ سواه»[2].

الثالث: «أنَّ معجزات الأنبياء عليهم السلام على حقائقها، وبواطنها كظواهرها، وكلما تأملتها ازددت بصيرة في صحتها، ولو جهد الخلق كلُّهم على مضاهاتها ومقابلتها بأمثالها ظهر عجزهم عنها، ومخاريق السحرة وتخييلاتهم إنما هي ضرب من الحيلة والتطلف لإظهار أمور لا حقيقة لها، وما يظهر منها على غير حقيقتها يعرف ذلك بالتأمل والبحث، ومتى شاء أن يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ غيره، ويأتي بمثل ما أظهره سواه»[3].

وتناول هذا المعنى القرافي مفرقا بين السحر والمعجزة فقال: «الفرق بينهما أنَّ السحر والطلسمات والسيمياء ليس فيها شيء خارق للعادة، بل هي عادة جرت من الله بترتيب مسبباتها على أسبابها، غير أن تلك الأسباب لم تحصل لكثير من الناس، بل للقليل منهم كالعقاقير التي تعمل منها الكيمياء والحشائش التي يعمل منها النفط الذي يحرق الحصون والصخور، والدهن الذي من ادهن به لم يقطع فيه حديد، والسمندل الحيوان الذي لا تعدو عليه النار، ولا يأوي إلا فيها، هذه كلُّها ونحوها في العالم أمور غريبة قليلة الوقوع، وإذا وجدت أسبابها

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٧٣/١١.
(٢) مقدمة ابن خلدون: ٩٣٥.
(٣) أحكام القرآن للجصّاص: ٤٩/١.

وجدت على العادة فيها.

وكذلك إذا وجدت أسباب السحر الذي أجرى الله به العادة حصل، وكذلك السيمياء وغيرها كلُّها جارية على أسباب عادية، غير أن الذي يعرف تلك الأسباب قليل من الناس. أما المعجزات فليس لها سبب في العادة أصلا، فلا يجعل الله تعالى في العالم عقارا يغلق البحر أو يسيِّر الجبال في الهواء، ونحو ذلك، فنحن نريد بالمعجزة ما خلق الله تعالى في العالم عند تحدي الأنبياء على هذا الوجه، وهنا فرق عظيم»[1].

وهذا الذي قاله هذان العالمان صحيح، فإنَّ المعجزة لا يمكن مضاهاتها، ولا يعلم البشر لها سببا، أما السحر فله أسباب خفية، قد يجهلها الناس ويعلمها النزر اليسير منهم، وقد يجهلها أهل عصر ويعلمها من بعدهم، فقد كان بعض الذين يتصلون بالجن قديما تريهم الجن «شيئا براقا مثل الماء والزجاج، ويمثلون له فيه ما يطلب منه الأخبار به، فيخبر الناس به، وكانوا يوصلون إلى وليهم كلام من استغاث به من أصحابه، ويجيبهم، فيوصلون جوابه إليه»[2].

وقد استطاع البشر في هذا العصر أن يصلوا إلى هذا الذي وصل إليه الجن، وعلمه القاصي والداني، فهذه الهواتف والراديوات والأقمار الصناعية التي تنقل الأخبار صباح مساء تجعلنا نعلم أمورا كان يظنها الناس قديما في قمة السحر، وكان الشياطين يضلُّون بها العباد، ولا يمكنون العباد من الاستفادة منها إلا إذا عبدوهم من دون الله.

والانتقال من مكان إلى مكان بسرعة فائقة أصبح اليوم يتم في وقت قصير، وكان الذي تنقله الشياطين بمثل هذه السرعة، يَعْجَبُ الناس له أشدَّ

(١) الفروق: ٤/١٦٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/٣٠٩.

العجب، وقد أعلمنا الله أنَّ لدى الشياطين قدرات عجيبة يتمكنون بها من الانتقال في هذا العالم، وينقلون من يريدون نقله.

الرابع: أنَّ المعجزة لا يمكن إبطالها أما السحر فإنه يمكن إبطاله، إما أن يبطله ساحر مثله أو أعلم منه، ولذلك يقوم صراع وحروب بين السحرة وشياطينهم، وإما أن يبطله أهل التقى والإيمان بما أعطاهم الله من اليقين، وبما يتلونه من آيات الكتاب، والأدعية والأذكار. وقد حدث أن حضر بعض الأتقياء عند بعض هؤلاء المنحرفين، فقرأ آية الكرسي، فلم يستطع أن يفعل الساحر شيئا. وطار بعض هؤلاء في الهواء فلما هلل بعضهم سقط المحمول ووقع.

ويذكر ابن خلدون أنَّ راية كسرى ـ وكانت تدعى «دِرَفْشِ كاويان» ـ كان فيها الوفق المثيني العَدَدي منسوجا بالذهب في أوضاع فلكية، رصدت لذلك الوَفْق، وأهل الطِّلَّسمات والأوفاق يزعمون أنَّ هذا الوفق الذي كان في الراية مخصوص بالغلب في الحروب، وأنَّ الراية التي يكون فيها أو معها لا تنهزم أصلا.

ولكن هذه الراية سقطت في معركة القادسية كما سقط قائد الفرس رستم، وتمرغت بالوحل، فقد عارض هذا السحر الذي تلبست به هذه الراية المدد الإلهي من إيمان أصحاب رسول الله ﷺ، وتمسكهم بكلمة الله، فانحلَّ كلُّ عقد سحري، ولم يثبت أمام جحافل الإيمان، وبطل ما كانوا يعملون[١].

الخامس: السحر يوجد من الساحر وغيره، وقد يوجد جماعة يعرفونه ويمكنهم الإتيان به في وقت واحد، والمعجزة لا يمكن أن يأتي أحد بمثلها[٢].

---

(١) راجع مقدمة ابن خلدون: ٩٣٤.
(٢) تفسير القرطبي: ٢/٤٧.

السادس: والفرق الذي اعتمده المتكلمون أنه راجع إلى التحدي، وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه الرسول. قالوا: والساحر مصروف عن مثل هذا التحدي، فلا يقع منه. ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور، لأنَّ دلالة المعجزة على الصدق عقلية، لأنَّ صفة نفسها التصديق، فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال، فإذن لا تقع المعجزة مع الكاذب بإطلاق[1].

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ٩٣٥.

المبحث الرابع
الفرق بين السحر والحسد

ولمزيد من التدقيق في تحديد معنى السحر ينبغي أن نبحث في الفرق بين السحر والحسد، فقد يخلط بعض الناس بينهما. تقول العرب: «حَسَدَه يَحْسِدُه ويَحْسُدُه حَسَدًا وحَسَّدَه، إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما هو، قال:

وترى اللبيب مُحَسَّدا لم يَجْتَرِمْ   شَتْمَ الرجالِ وعرضه مَشْتُومُ

وقال الجوهري: الحسد أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك، يقال: حَسَدَه يَحْسُدُه حُسُودا»[1].

فإذا تمنى الإنسان مثل النعمة التي وهبها غيره من غير أن يتمنى زوالها عن صاحبها، فذلك يسمى الغبطة، يقول صاحب اللسان: «الغَبْطُ: أن يتمنى أن يكون له مثلها، ولا يتمنى زوالها عنه»[2].

والحاسد تتكيف نفسه بالخبث فتصبح نفسا غضبية خبيثة حاسدة تؤثر في المحسود بطريقين **الأول**: قوة النفس الذاتية، وهي في هذه الحال تؤثر في المحسود غاب أم حضر.

والثانية: بطريق عين الحاسد، وهذا لا يؤثر إلا إذا كان المحسود موجودا ونظر الحاسد إليه نظرة شر وحسد، إذ لو نظر إليه نظرة ساه لاه فإنه لا يؤثر فيه شيئا.

---

(١) لسان العرب: ١/٦٣٢.

(٢) لسان العرب: ١/٦٣٢.

والعائن الذي يمرض ويؤذي غيره بسبب تلك النظرة الخبيثة المنبعثة من أعماق نفسه يضر غيره لأمرين:

الأول: لشدّة العداوة والحسد، فإذا قابل العائن عدوه وتوجهت نفسه الخبيثة إلى المنظور إليه أضر به.

والثاني: الإعجاب، وهو أنّ الناظر يرى الشيء رؤية إعجاب أو استعظام فتتكيف روحه بكيفية خاصة تؤثر في ذلك المتعجب منه.

وقد تكلّم ابن خلدون في (مقدمته) على الذين يؤثرون في الآخرين بعيونهم فقال: «ومن قبيل التأثيرات النفسانية الإصابة بالعين، وهو تأثير من نفس المِعْيان، عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات أو الأحوال، ويفرط في استحسانه، وينشأ عن ذلك الاستحسان حسد يروم معه سلب ذلك الشيء عمن اتصف به، فيؤثر فساده.

وهو جبلة فطرية، أعني هذه الاصابة بالعين، والفرق بينها وبين التأثيرات النفسانية أنّ صدوره فطري جبلي لا يتخلف ولا يرجع إلى اختيار صاحبه ولا يكتسبه، وسائر التأثيرات ـ وإن كان منها مالا يكتسب ـ فصدورها راجع إلى اختيار فاعلها، والفطري منها قوة صدورها لا نفس صدورها، ولهذا قالوا القاتل بالسحر يُقْتَل، والقاتل بالعين لا يُقْتَل، وما ذلك إلا بما يريده ويقصده أو يتركه، وبما هو مجبور في صدوره عنه».

والساحر والحاسد يشتركان في أنّ كلّ واحد منهما يقصد الشر، لكنّ الحاسد بطبعه ونفسه وبغضه للمحسود، والساحر بعلمه وكسبه وشركه واستعانته بالشياطين[1].

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم: ٢/ ٢٣٥.

والشياطين تُعين الحاسد والساحر، ولكنَّ الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان، والساحر يطلب من الشيطان أن يعينه وربما يعبده من دون الله حتى يقضي له حاجته[1]. وقد قرن الحق تبارك وتعالى في سورة الفلق بين الاستعاذة من شرّ الحاسد وشرّ الساحر في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2].

والاستعاذة من هذين الشرين تعمُّ كلَّ شرّ يأتي من شياطين الإنس والجن، فالحسد يكون من شياطين الإنس والجن، وكذلك السحر[3].

وقد دلَّ قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[4] على أنَّ للحاسد شرّاً يؤذي المحسود، فلا يجوز أن يدَّعى مدع أنَّ الحاسد لا يؤثر في المحسود ولا يضره، وقد رأينا في هذا العصر حيوانات بريّة وبحرية تقتل غيرها من طريق أشعة تنبعث من عينها أو جسدها، فلم لا يكون في بعض الناس قوة خاصة تؤذي الآخرين وتضربهم.

(١) بدائع الفوائد: ٢/٢٣٤.
(٢) سورة الفلق: ١ ـ ٥.
(٣) بدائع الفوائد: ٢/٢٣٣.
(٤) سورة الفلق: ٥.